

## انتخابات ممتعة

من الطبيعي ان يشعر المرء بالشوق الى المعارك الديموقراطية عندما ينظر من بلد تكاد تغيب فيه السياسة، الى حملة انتخابية حامية كتلك التي تجري في فرنسا منذ اسابيع. غير ان التمتع بالمشهد الفرنسي لا يشترط بالضرورة النظر اليه بمنطق المقارنة مع واقع متخلف. فمتابعة المعركة الرئاسية في باريس مصدر متعة في ذاته، بعيدا عن اي مقارنة.

بالطبع لا تأتي المتعة من اهمية الافكار المطروحة منذ بدء الحملة. فعلى هذا المستوى لا جديد تحت الشمس: ما زالت الحياة السياسية الفرنسية تعاني آثار الازمة العميقة التي دخلت فيما منذ اواسط الثمانينات بعد ان حلّ التسابق نحو الوسط محل الاستقطاب التقليدي بين اليمين واليسار. وهكذا لا نرى فروقات جوهرية في برامج المرشحين الاساسيين. لكن، ولحسن الحظ، جاءت الطموحات الشخصية لتمنح هذه المعركة حيوية ما كانت "مناقشات الافكار"، كما يقال بالفرنسية، لتبثها فيها.

هنا تحديدا مصدر المتعة: تصادم في الطموحات الشخصية في ظل تشابه كبير في البرامج، وهو التشابه الذي يزيد حيرة الناخبين من جهة ويدفع المرشحين الى تمييز انفسهم بالاسلوب فقط.

قبل سنة، كان المراقبون يجمعون على القول بانتهاء حياة جاك شيراك السياسية، بعد ان نجح رئيس الحكومة ادوار بالادور في فرض نفسه كأفضل ممثل لليمين النازع الى الوسط. وظلت هذه المقولة المتسرعة (التي لم ينح منها كاتب هذه السطور) شائعة حتى اعلان شيراك ترشيحه. بل هي استمرت في التداول اشمرا طويلا بعد الترشيح وحتى نهاية شهر شباط الماضي، حين بدأت استطلاعات الرأي تشير الى تبدل في امواء الجسم الانتخابي.

لا شك في ان مثل هذا التبدل يحمل درساً في السياسة لجميع الصحافيين والمراقبين الذين يتسرعون احيانا في اطلاق الاحكام. غير ان التبدل لا يعني ان الحكم الذي اطلق على شيراك لأشهر كان خاطئا. ذلك ان شيراك الذي لم يكن احد مستعدا للمراهنة بفرنك على مستقبله ليس شيراك نفسه الذي عاد الى تصدر استطلاعات الرأي.

ليس المقصود هنا تبرير اخطاء التحليل السياسي، اما التدليل على التحول الذي عزم شيراك ان يخضع له شخصيته المعروفة في السابق بفجاجتها. وتكفي متابعة احدى المقابلات التلفزيونية العديدة الذي يشترك بها هذه الايام للتأكد من مدى هذا التحول الذي جعل البعض يتكلم عن ولادة ثانية.

لم تفت اهمية هذا التحول خصم شيراك الرئيسي ادوار بالادور الذي اضطر بدوره، وبعد تدني شعبيته في استطلاعات الرأي، الى ادخال بعض التعديلات على اسلوبه، ولو في شكل مصطنع، ما سمح له باستعادة نقطتين او ثلاث. وهكذا، عاد "الدق" محشورا بعد ان كانت "تقليعة" شيراك المتأخرة قد اوحت بحسم سريع. وهكذا، على الارجح، سيستمر الوضع حتى موعد الدورة الاولى، وربما بعدها، الامر الذي يعدنا بمزيد من المتعة في الاسابيع المقبلة.